تحديات استمرار المهن العائلية في لبنان

ACCES
AGENCE CONSULTATIVE ET CENTRE EDUCATIF DE SHEILD

SHEILD
RESEARCH & DATA UNIT

By SHEILD GROUP

تحديات استمرار المهن العائلية في لبنان

المهن العائلية ظاهرة عالمية تطال مختلف البلدان وتعد مصدرا رئيساً للعمالة ومحركا فعالا للنمو الاقتصادي . أما لبنان، فقد عرف مثل هذه المهن منذ نهاية القرن التاسع عشر(١٨٥٧) وتميزت بالحرفية والبساطة في بداياتها، ومن ثم تطورت مع تطور المكننة وصولاً إلى زمن التكنولوجيا، وغدونا أمام مؤسسات وشركات عائلية رائدة في قطاعات عدة منها الصناعة والخدمات. وبرز دورها منذ عام ١٩٥٧ ولكن على الرغم من تطورها ودورها في الحفاظ على الارث العائلي وتعاقبها عبر الأجيال، تواجه هذه المهن تحديات عدة، وتختلف من حيث تاريخ نشأتها وحجمها.

المهن العائلية هي عامل مهم في الاقتصاد اللبناني. وعلى الرغم من الحروب والصراعات والأزمات الاقتصادية المختلفة صمدت هذه الاخيرة ولعبت دورا" بارزا" وأصبحت رافعة مهمة في الاقتصاد اللبناني خاصة بعد حرب ١٩٧٥-١٩٩٠. وشكلت ٨٠٪ من انتاجية القطاعات وتوظيف عمال من مختلف الفئات الاجتماعية(Family Business Network of the Gulf Cooperation Council Aug ٢٠١٦).
وتنقسم هذه المؤسسات الى ثلاثة أحجام، الصغيرة والمتوسطة والكبيرة . كما تنقسم المهن العائلية الى أقسام منها الحرفية واليدوية، ومنها الصناعية والتجارة والخدمات المصرفية. بعض هذه المهن الحرفية العائلية ما زالت موجودة مثل صناعة الصابون في طرابلس ودرب السيم، والنحاس في منطقة القلمون، وصناعة الأجراس في بيت شباب، وصناعة القش والقصب في البربارة، وصناعة الفخار في راشيا الوادي، وصناعة النول في زوق مكايل وصناعة السكاكين في جزين. أما البعض الآخر فقد انقرض مثل صناعة النسيج وتربية دود القز لأن الطلب عليها في أوروبا انعدم بحيث كان معظم التصدير يتجه إلى أوروبا فتوجه الناس إلى نشاط اقتصادي آخر، مثل صناعة الحرير التي كانت ملك عائلات معروفة في مختلف المناطق اللبنانية، وذلك يعود الى عدم انتقالها للجيل الثاني حيث انخرط الابناء في اختصاصات اخرى ولم يهتموا بمهن أهلهم.

أما المهن الصناعية فقد تعاقبت عليها الأجيال، وانتقلت من جيل الى جيل وما زالت مزدهرة في كثير من القطاعات مثل مؤسسة الحلاب منذ ١٨٨١ في صناعة الحلويات، ومعمل غندور في الصناعات الغذائية الذي تأسس سنة ١٨٥٧، وقرطاس ١٩٢٥، الرفاعي ١٩٤٨اوصناعة العرق والنبيذ اللبناني وانتشاره عالمياً... وبيرة الماسة، التي تعود إلى عائلة جبر، وصناعة الفخار الصناعي للمدافئ والسطوح ١٩٧٥.

في القطاع المصرفي والخدمات المالية برزت عائلات عدة منذ ١٨٣٠. وفي الجانب الثقافي والاعلامي نذكر جريدة النهار التي تأسست سنة ١٩٣٣ وتتابع عليها الجيل الرابع. ويمكن إضافة الشركات الحصرية للتجارة مثل شركة المرسيدس (غرغور وعائلته) لتجارة واستيراد المركبات، الرينو (بسول وحنينة) التويوتا (بستاني ورسامنة يونس) وغيرهم... وفي المجموعات المتعددة النشاطات هناك شركة فتال للتجارة والصناعة منذ ١٨٩٧ ومجموعة أبو عضل منذ ١٩٥٦.

يواجه استمرار هذه المؤسسات العراقيل والمعوقات الكثيرة ، خصوصا" في ظل الازمات التي يعيشها لبنان وغياب دور الدولة التوجيهي في هذا المجال. وصعوبة تحديد الأهل أي رؤية اقتصادية واجتماعية لتحفيز أبنائهم للحفاظ على المهن العائلية؟ وكيف يساهم الابناء في عملية التخطيط والتطوير والتغيير في مهن الاباء على المدى البعيد ؟

لعب التطور التكنولوجي دورا" كبيرا" في تطوير القطاعات وفي تمكين الابناء من الجيل الجديد من نقل مهاراتهم وقدراتهم الى المؤسسة الأم ليضيفوا إليها ثقافة الابتكار والتجديد واستمرارية ما أسسه الآباء. ومن هنا اهمية التماسك الاجتماعي بين الاهل والابناء من خلال التقاليد التي تعكس قيما مشتركة بين أفراد الجماعة، وتحقق الترابط بينهم. ومن خلال غرس القيم الاجتماعية الايجابية، وتنمية الشعور بالولاء الأسري والاجتماعي.. وغالبا" ما يدير الشركة او المؤسسة جيلين أو ثلاثة أجيال في وقت واحد ، ما يجعلها بيئة يجتمع فيها أفراد الاسرة معا" من خلال أساليبهم الخاصة التي قد تكون متطابقة أو متناقضة في بعض الأحيان.

في ظل الازمات الإقتصادية والاجتماعية التي يعيشها لبنان منذ سنوات ، ازداد الطلب على بعض المهن الحرفية واليدوية بسبب انخفاض القدرة الشرائية للمواطنين، وتحمس الشباب للعودة إلى مهنة الاباء من جديد مثل الخياطة والرتي والسكاف. ولا يمكن أن ننسى في هذا المجال أهمية المبادرات التي يقوم بها الصناعيون لخدمة المجتمع المحلي ببناء قطاعات منتجة وخلق فرص عمل لأهالي القرى مثل النساء والمتقاعدين في المناطق الريفية والقرى المجاورة وخصوصا" للفئات الشبابية للحدّ من هجرتهم. لكن ذلك كله لا ينفي أن المهن العائلية تواجه اليوم ظروفاً مختلفة وتغييرات صعبة تحتاج فيها الى الكثير من الاهتمام والدعم لكي تستمر وتساهم بدورها في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

سوزان منعم
أستاذة مساعدة وباحثة في
معهد العلوم الاجتماعية
في الجامعة اللبنانية.